Al-Adab Journal Issue. No (151) Supplement (December) 2024

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

The Obsession with Revenge and Vengeance in pre-Islamic Poetry

Iman Ahmed Abdel Hussein Badr
University of Baghdad/ College of Arts/ Department of Arabic Language
amanea880@gmail.com
Prof. Ikhlas Muhammad Idan (Ph.D.)
University of Baghdad/ College of Arts/ Department of Arabic Language
ekhlasmahmed@coart.uobaghdad.edu.iq

Copyright (c) 2024 (**Iman Ahmed Abdel Hussein, Prof. Ikhlas Muhammad Idan (Ph.D.)**

DOI: https://doi.org/10.31973/sqn6pk58

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

Revenge is a social phenomenon that accompanied the life path of pre-Islamic society until it became their souls, from which they were inspired by the pride of defiance and the dignity of confrontation. Revenge poetry in pre-Islamic Arabic poetry occupied great importance and special attention due to its novelty and widespread prevalence. The word revenge indicates the infliction of some kind of punishment against a person. Certain with specific motives arising from a force of anger.

The collections of poets were full of talk about revenge, whether it was revenge for the brother, the son, the father, the mother, or others. But revenge for the brother was more present in the collections of poets, as the death of a brother was considered one of the severe calamities that were difficult to bear and avoid, and (the psychological factor had a great effect in stirring feelings. The brother and the family of the murdered person towards the pursuit of revenge, as the brother reaches a desperate stage after the killing of his brother, and falls into the captivity of pain and sorrow from which he cannot escape unless he defeats the killer and takes revenge on him. Thus overcoming all the obstacles that stand before him that prevent him from achieving what they aspire to. To him, if he does not reach his goal, he will inevitably fall into disgrace, according to the principles of pre-Islamic society and its laws that relate to the principle of realizing revenge.

Poets who have tasted the bitterness of sadness shed tears and continuously weep, perhaps they contain the bitterness of the difficult situation, and they succeed in absorbing the estrangement of the soul to justify the poets' launch into lamentation that includes remembrance and praise for the deceased, by preparing a psychological ground to prove the values, which are the focus of existence. Therefore, we notice their striving to consolidate. These values in their society, and the focus of this circumstance was embodied in many pre-Islamic poets.

Keywords: sadness , revenge, women poets

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

هاجس الانتقام والثأر في الشعر الجاهلي

الباحثة إيمان أحمد عبد الحسين بدر
كلية الآداب/ جامعة بغداد/ قسم اللغة العربية
Amanea880@gmail.com

أ.د. إخلاص محمد عيدان
كلية الآداب/ جامعة بغداد/ قسم اللغة العربية
ekhlasmahmed@coart.uobaghdad.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

إن الثأر ظاهرة اجتماعية واكبتْ مسيرة حياة مجتمع ما قبل الإسلام حتى غدت نفوسهم، التي استلهمت منها عزة التحدي وكرامة المواجهة، وقد احتل شعر الثأر في الشعر العربي قبل الإسلام أهمية كبيرة، واهتماماً خاصاً لجدته وكثرة شيوعه، فلفظ الانتقام يدل على إنزال عقوبة ما ضد شخص معين بدوافع معينة ناشئة من قوة غضبية.

وقد زخرت دواوين الشعراء بالحديث عن الثأر سواء أكان الثأر للأخ ام الابن ام الأب أم الأم أم غيرهم، لكن الثأر للأخ كان أكثر حضوراً في دواوين الشعراء إذ يعد موت الأخ من المصائب الشديدة التي يصعب احتمالها وتفاديها، وكان (للعامل النفسي أثر كبير في تحريك مشاعر الأخ وأهل المقتول نحو السعي الى إدراك الثأر، إذ يصل الاخ الى مرحلة يائسة بعد مقتل أخيه ، فيقع في أسر الآلام والأحزان التي لا يستطيع الخروج منها إلا إذا ظفر بالقاتل واقتص منه، متجاوزا بذلك كل ما يقف امامه من عوائق تحول بينه وبين تحقيق ما يصبو إليه، لأنه إن لم يحقق مقاصده فإنه واقع في الخزي والعار لامحالة، حسب مبادئ المجتمع الجاهلي وقوانينه التي تتعلق بمبدأ إدراك الثأر).

وتقوم النساء الشواعر اللواتي ذقن مرارة الحزن بذرف الدموع والبكاء المستمر، لعلهن يحتوين مرارة الموقف الصعب، وينجحن في امتصاص غربة النفس، ليسوغ انطلاق الشواعر الى الرثاء الذي يتخلله الذكر والمدح للمفقود الراحل بتهيئة أرضية نفسية لإثبات القيم، التي هي محور الوجود، لذلك نلاحظ سعيهن جاهدات لترسيخ تلك القيم في مجتمعهن، وقد تجسد محور هذا الظرف عند العديد من الشواعر الجاهليات.

الكلمات المفتاحية: الثأر– الحزن– النساء الشواعر

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

المقدمة:

إن الثأر والانتقام عادة تأصلت في طباع العرب، وأصبحت جزء من كيانهم إذ أرادوا أن يعيشوا محترمين بين أفراد القبيلة، لأن الأخذ به دليل على الشجاعة والقوة، والسكوت عنه دليل على الخضوع والذلة والاستكانة، وباعث على الاستهانة بالفرد والقبيلة، فيكون أو تكون هدفا لغزوات أخرى.

وقد أدت هذه العادة إلى صراع عنيف ميز العصر الجاهلي وكانت سببا لكثير من الحوادث والأيام التي وقعت بينهم كما أن الخروج عليها كان يعد عارا كبيرا ويوصف الذي لا يرد اللطمة التي أصابته جبانا ويستحيل على الرجل الكريم المحتد أن ينسى ضررا لحقه ولا يرتاح باله حتى ينتقم لنفسه ويثأر لها.

ويعد الثأر شريعة مقدسة عند العرب في العصر الجاهلي، فهو مثل النار المستعرة في قلوبهم والعربي لا يهدأ له بال إذا لم يأخذ به.

وكانوا يقومون باتخاذ بعض الظواهر خلال مدة الثأر كالتقليل من الأكل والشراب والامتناع عن الاغتسال وحلق الشعر، لابد أن تكون لها جذور دينية قديمة، داخلها بعض الأساطير الشائعة، فاتخذت هذا الشكل الذي تعارف عليه الناس.

وكان قسم من العرب إذا مات أحد أقربائهم يذبحون ناقة، أو يربطونها ثم يدعونها تموت جوعا معتقدين أن الروح لم تنفصل عن الجسد تتشكل بهيئة طير يسمونه الهامة والصدى، وهي نوع من البوم لا تبرح تطير بجانب قبر الميت نائحة ساجعة، تأتيه بأخبار أولاده، فإذا كان الفقيد مات مقتولا تصيح صداه قائلة " اسقوني "ولا تزال تردد نفس اللفظة حتى ينتقم له أهله كن قاتله بسفك دمه.

وقد حرصت نساء الجاهليين على حث الرجال من أجل الانتقام والقصاص من القاتل، وربما أرادت من هذا مشاركتهم في التلهف لمحو العار وغسل الدم، وارتبط القصاص عند المرأة بالرثاء وبكاء المقتول ومن خلاله تحض على أخذ الثأر وكان لأبياتهن وقع وصدى كبير في نفوس الشجعان حيث تزيده عزيمة وإصرار.

وهناك العديد من الدراسات التي تضمنت دراسة موضوع (الثأر في العصر الجاهلي) منها (الثأر في الشعر الجاهلي) لـ (غدير سالم الشمايلة)، و(شعر الثأر عند شاعرات العصر الجاهلي) لـ (إيمان قليل)، و(القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعياً: قيمة الثأر أنموذجاً) لـ (إبراهيم صالح توفيق)، وغيرها من الدراسات.

وقسم هذا البحث إلى (أولاً: دوافع الثأر والانتقام)، و (ثانياً: دور المرأة في التحريض على القتال وعلى الثأر).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

أولاً: دوافع الثأر والانتقام:

من أسباب مشكلة الثأر ونتائجها هي وجود الدافع الفطري ، المتمثل بالحمية المتأصلة في طبيعة الفرد نفسه وما ذلك الاّ نقل لصورة انعكاسات تلك الدوافع المكنونة في دواخل الذات، وهي تدفعه للقيام بأعمال كثيرة منها ما يكفي لإشباع حاجاته النفسية أو الاجتماعية، ومنها ما يمكن عدهُ عملاً تعاونياً أو ربما بشكل موقفاً عدائياً تجاه من سولت له نفسه بالعداء كباعث لاشتداد أزمة النفس، وكدافع لارتكاب الجرم والمعاملة بالمثل، العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم، فبذلك يكون الثأر الذي تتبناه جماعة المجنى عليه مساوياً لهُ ومطابقاً من ناحية الضرر للجرم الذي ارتكبه الجاني.

وتعد الهزيمة من أهم الأسباب التي دعت الشعراء والمقاتلين في العصر الجاهلي ودفعتهم إلى الأخذ بالثأر والانتقام، وقد عاهد الشعراء أنفسهم بالابتعاد عن النساء والخمرة والطيب حتى يثأروا، لأنها ترضي الضمير في ذلك المجتمع وتبعث على السرور والبهجة في نفوسهم، إذ إن الانشغال بالنساء والخمرة والطيب لا تليق بالذين تجرعوا مرارة الأحزان وشغلتهم عن المتابعة الجادة لإدراك الوتر، لذلك تغنى الشعراء بإشهار السلاح لأنه موضع إجلال وتقدير وهيبة ، يحظى حامله باحترام وتقديس لذا يتوشح الموتور بالسلاح للقيام بعمل سريع عند حدوث المواجهة المفاجئة لردع الجريمة ومنع تكرارها لأنها عمل غير إنساني ولرد اعتبار لأهل القتيل، حفاظاً على شخوصهم وثأراً لكرامتهم ولا سيما إذا راودهم الإحساس بالإذلال والإهانة .

والشواعر محرضات للرجال محمسات يتركن لهم تحقيق الثأر، فهن المثير وللرجال العمل والتنفيذ، فإذا قال الرجل فإنه يتغنى بالوفاء بالعهد، عهد الانتقام من العدو وغسل العار الذي لحق بالقبيلة، ويعلنها صريحة بأنه سوف يترك كل نعمة أو لهو، من ذلك قول المهلهل أخي كليب يهدد قبيلة بكر: (حرب، ٢٠٠٩، ص٣٤)

خذِ العهدَ الأكيدَ علىَّ عمري بتركي كُلَّ ما حَوتِ الديارُ
وَهَجرِي الغَانياتِ وَشُربَ كأسٍ وَلبسِي جُبَّةٍ لا تُستَعَارُ
وَلستُ بِخالعٍ درعي وَسيفي إلى أن يَخلعَ الليلَ النهارُ
وإلاَّ أَن تَبِيدَ سَرَاةُ بكرٍ فَلاَ يَبقَى لهم أبداً أثَارُ

فهو تارك كل لذة، هاجر الغانيات، لن يشرب خمرا، أو يغير ملبسا، ولن يخلع درعه، أو يلقي سيفه، حتى يأخذ بثأره.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وعندما تستبد الحماسة بالشاعرة، وتعالى ثائرتها إن لم يستجب لها قومها ويخافوا إلى أعدائهم ليشفوا غليلها، وتهدد هي أعدائها وتتوعدهم بالغارة عليهم، وكأنها هي التي ستنهض وحدها بهذا بالعبء دون الرجال.

ومن ذاك تهديد امرأة من بني عامر: (شلبي، ١٩٨٢، ص ٢٥١)

وَحربٍ يضجُّ القومَ مِن نفيانِها ضجيجَ الجمالِ الجلةِ الدبراتِ
سيتركُها قومٌ ويصلي بجرها بَنو نسوَة للثكل مُصطَبراتِ
فإن يكُ ظنّي صادقاً وهَو صادقي بكم وبأحلامٍ لكم صَفراتِ
تعدُّ فيكم جزرَ الجزورِ رماحنا ويمسكن بالأكبادِ مُنكَسراتِ

لكنها نزعة نادرة في الشعر النساء لأن المرأة تشعر في قرار غريزتها بالضعف والهوان، وتستمد قوتها من الرجال الذين تتغنى عادة بحمايتهم لها وبقوتهم.

وكانت بعض النساء عند التعبير عن حزنها تقوم بحلق الرأس واللطم على الوجه، وشق الجيوب وهذا ما اشتهرت به النساء الشواعر في الجاهلية، قالت الخنساء: (طماس، ٢٠٠٤، ص٨٧)

وَلكنّي وَجَدتُ الصَبرَ خيراً مِنَ النَعلَينِ والرَأسِ الحلَيقِ

وهذه المعاني التي تذكرها المرأة عما تمارسه حين سماعها لخبر النعي، لا تتفق به مع الرجل، فالرجل لا يحلق رأسه ولا يشق الجيوب، وإنما يمتنع عن اللهو والنساء والطيب حتى يأخذ ثأره. ذلك شأن الشاعر الشجاع، وذلك مستطاعه في إدراك ثأره ونيل مراده، فأما الشاعرات من النساء المحرضات فلها طريقتها الخاصة نراها في أشعارها في القول المهلب الذي يحرك في نفوس الرجال فيدركون بذلك ثأرهم. وكانت بعض الحروب تنشب لأسباب، منها ما يكون بسبب اهانة او نزاع بين شخصين من قبيلتين مختلفتين أو اختلاف على المرعى.

وأحياناً يميل الإنسان إلى قبول الدية نتيجة ضغط وتأثير الوسطاء وأهل الخير ، وهذا الميل يدفعه إلى الشعور بالنقص ، الذي يسوقه إلى عدم ارتياح النفس، فيدخل دائرة غربة النفس لا سيما إذا انتابه شعور الإحساس بالإهانة والإذلال، وانعدام مكانته الاجتماعية بين ذويه، ((فالنبذ الاجتماعي أقوى أسلحة المجتمع في إخضاع أفراده، لأن النادر من الناس من يستطيع الوقوف في وجهه استهجان الآخرين))محي، ١٩٦٧، ص٥٠) فكل مصيبة تهون عليه إلا حياة الذل والعار(الكبيسي، ١٩٨٣، ص٥٧) فبذلك يكون الشاعر الموتور في صراع مرّ مع الذات ومع المجتمع وعندئذ لابدّ من وجود ضاغط خارجي هناك ، يثير نفسية الموتور، ويؤجج فيها قضيته ، فيدفع حفيظته لأخذ الثأر من أبرز المثيرات الخارجية الخمرة

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ولوازمها إذ تندرج ضمن بواعث الشجاعة والكرم الذي يفخر به بالامتناع عنها يعد توقفاً في مسيرة حياة عامرة باللهو واللذة ، هو مؤمن بها .

ويبقى إصرار الشاعر قائم مع رغبة جامحة ونية مقصودة للإدراك بثأره قصاصاً للمقتول من دون مراعاة أو تأمل في التفكير بالنتائج التي ستحصل من جراء سبق الإصرار والترصد ، والتأهب للإحاطة بالقاتل نفسه أو ما يقابله من المنزلة والقرابة لأن في دواخله خوفاً من كلام مذموم ، ووصمة عار أبدية ، من البواعث الرئيسة التي تدفعه لتنفيذ نيته المبيتة ، إرضاءً لضميره وتنفيساً لأزمته النفسية، وقلقه الحاد الذي يطغي على توازنه النفسي ويؤثر في سلوكه، وفي قدرته على تبويب حاجاته، وتصريفها بهدوء ومرونة، وتشتد أحياناً حالة القلق فتؤدي إلى فقدان السيطرة على النفس، فيفلت زمام التدبير منه، فيجعل سلوكه في غاية التوتر والاضطراب لتأخذ استمراريتها في نمط حياته الاعتيادية (كمال، ١٩٨٣، ص١٥١) وبعدها تتدرج بالهدوء عند حصول مطلب الثأر .

فتشكل في نفسية الشاعر الموتور صورة الحزن لمفقود راحل لا تغيب عن مخيلته، شاخصة في ذكراه وهو يعاني ثورة الذات المشدودة لنية القتل بصورة واضحة بعيدة عن الإضمار، وفي حدقات العيون دمع غزير ، يفديه به ، مع فداء الروح والجسد ،وما يشتمله من جبين وحاجبِ وقال ويمين ، ومنكب وصدر ، وكل ذلك من غير اعتلال ، وهو يخشى شماتة الأعداء والتشفي بمقتوله ، فيجعل من لفظة القسم . لعمري . جواباً حقيقياً لتحقيق نية الذات ، الثأر لكليب ، بخيرة الفرسان الذين توافرت فيهم سمات البطولة والأقدام ، لكي يعالج به جرحه العميق الذي لا يندمل الاّ بإدراك الثأر من دون تردد أو خوف ، فكيف صبره لمقتل زين الرجال من الكماة والأبطال ، فقال: (الراجحي، ١٩٨٦، ص ٣٠١، ٣٠٢)

يَا لَقَوْمِي لِلَوْعَة الْبَلْبَالِ ولقتلِ الكمأة والأبطالِ
وَلِعَيْنٍ تَبَادَرَ الدَّمْعُ مِنْها لِكُلَيْبٍ إِذْ فَاقَهَا بِانْهِمَالِ
كَيفَ صَبري وَقَد قَتَلتُم كُلَيباً وَشَقيتُم بِقَتلِهِ فِي الخَوالِي
فَلَعَمرِي لأَقتُلَن بِكُلَيبٍ كُلَّ قَيلٍ يُسمَى مِنَ الأَقيالِ
وَلَعَمري لَقَد وَطِئتُ بَنِي بَكرٍ بِما قَد جَنَوهُ وَطءَ النِعالِ

ولعل عدم إدراك الثأر أحياناً يجعل أهل المقتول في موقف ضعيف فيكون التجاوز عليهم أكثر، وفي جدّ لا يطاق، لذا يقود بهم الأمر إلى ردّ فعل سريع يزرع في أفئدة الخصم الرهبة والخوف مع احساس بعدم الاستقرار وغياب الأمن، فيخفف بذلك من حدة التمادي والتجاوز ، كوسيلة لرفع كاهل الظلم، ولاسيما إذا كان ارتكاب الجرم لأمر بسيط لا يستوجب ذلك ((وكثيراً ما كانوا يصرخون داعين إلى الأخذ بالثأر والانتقام من العادين ويسجلون

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

العار على الناكصين والخزي والفضيحة على الضعفاء المتخاذلين)) (المسلوت، ١٩٦٣، ص١٢٨)، ويمكن تحليل هذه الأمور وتفسيرها إلى البواعث المتنوعة التي دفعتهم إلى تسجيل تلك المواقف المفرحة والحزينة في ملف ثأري تضم حلقاته قيم البطولة والرجولة لا يروون ظمأهم ألا بدماء الثأر لما فيه من تحقيق العدالة التي تتصف بها عادة الثأر ، وهي تفضي إلى المنزلة التي يحتلها الثأر في حياة العرب (بلاشير، ١٩٥٦، ص٣٩).

ثانياً: دور المرأة في التحريض على القتال وعلى الثأر:

برزت المرأة الشاعرة في العصر الجاهلي في أغراض متباينة وكان من بينها شعرا للتحريض والأخذ بثأر المقتول، فقد يكون هذا المقتول فردا من أهلها أو من قبيلتها، إذ انها تنشد في الوغى تثير به حمية الرجال في المعارك وتبعث في نفوسهم الشجاعة والمقاومة لإدراك مبتغاهم كانت القبائل في حروب متصلة ما أن تنتهي حتى تبدأ حروبا اخرى، وكان القانون الوحيد الذي يخضع له الجميع افراد القبيلة هو قانون الأخذ بالثأر.

وبذلك لا يمكن أن يقتنع أو يرضى، فيصبح عاجزاً في مجتمعه عن تأدية واجباته الاجتماعية التي يؤمن بها، وهذا التوقف في الحياة، مثير للأخذ بالثأر وباعث له، وهذا ما وجدناه عند عبد العزى بن مالك الطائي (فوال، ١٩٨٨، ص٢٠٨)، في إصرار منقطع النظير، لكي يعلم الأعداء مرارة بأسهم وحماقة نفوسهم ومن دون تأثر أو ميول لهوى الملامة، عامداً، قاصداً للأخذ بثأره، فقال:

إذا ما طلبنا تبلنا عند معشر أبينا حلاب الدر أو نشرب الدما
ليعلم أقوام مضاضة وترنا ونتبع ذات اللوم من كان ألوما
وعمداً قتلنا بعد ما عرضوا لنا مقاريمهم شعثاً وألفا مزنما

ومن هنا الدية والتعيير لمن لم يأخذ بثأره؟، فالقبيلة التي تمنع عن تسليم الجاني لمن يطلبه بدم لا ترى ضيرا من دفع الدية لولي المقتول غير ان طالب الوتر يزهد في قبولها وبعدها جناية توازي القتل نفسه، وإذا ما مال أحد من القبيلة الى أخذ الدية استشاط عليه الآخرون غضبا وأخذوا على يده وبصروه بالعار ولا يمحى له أثر فقبول الدية عار فاضح، فهذه أم عمرو بنت وقدان تكوي نفوس ابناء عشيرتها بهذه المعاني اللاهبة، إذا فكروا في قبول دية أخيها المقتول قائلة: (غريد، ٢٠٠٣، ص١٠٨١)

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم فذروا السلاح ووحشوا بالأبرقِ
وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا نقب النساء فبئس رهط المرهقِ
ألهاكم أن تطلبوا بأخيكم أكل الخرير ولعق أجرد أمحقِ

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

فالثأر ظاهرة قبلية تهتم بها العشيرة وعدتها من قوانينها ولا يهدأ لهم بال حتى يدركون مرادهم، فهو يعتبر عبء من أعباء القبيلة تكون نتيجته أسفاك الدماء، وما تولد لديهم الحقد والعداوة بين القبائل ومن ثمة فإن الثأر يكون بقتل القاتل، وبه تكون راحة للمقتول وأهله، ويتم تنفيذ الحكم من طرف أهل القتيل، والا تم تعيير أهله وعشيرته.

وكذلك عيرت النساء الرجال بالفرار والجبن ونادت بمواصلة القتال حتى النصر والانتقام من الأعداء، وتمثل ذلك في العديد من اشعار النساء، ومن ذلك قول دختنوس تعير بني تميم وأحلافهم بني أسد لفرارهم في يوم شعب جبلة: وتركهم القائد وحده وقد شبهته بالعقاب حتى لقى مصرعه:)يموت، ١٩٣٤، ص ٥٢,٥١)

فرّتْ بَنُو أَسَدٍ خر وء الطَّيرْ عن أربابِها
لم يحفظوا حسباً ولم يأوو الغي عقابها
عن خيرها نَسباً إذا نَصَتْ إلى أنسَابِها
وهو إذن أصحابه والثأر في أذناها

وكانت دختنوس أكثر إيجابا لقومها وأشد تقريعا وتوبيخا أنه تقريع ينبئ عن نفس مشحونة بالغيظ وقلوب مملوءة بالضيق، وهذا جدير بها فإن القائد المتروك وحده، والذي فرط فيه قومه هو أبوها، ولذلك ترمي قومها واحلافهم بالجبن والتخاذل والتفكك، والتفاهة والهوان. فعار الهزيمة و هول الفجيعة، ومرارة الخطب أنطقها بهذه السخرية المقنعة لقد أصيبت الشاعرة بفقدان أبيها وقومها واحلافهم، فعبرت عن نفسها، وجاء تعبيرها صادق يصور معاناتها الأليمة وحزنها العميق. وما حدث في يوم النسار عندما فر مالك بن كعب والطفيل، فعيرتهم سلمى بنت المحلق بقولها: (جاد المولى بك، ٢٠١١، ص٣٨٠) (ينظر: الروقي، ١٩٩٤، ص ٥٤)

لحى الاله أبا ليلى بفرتهِ يوم النسار وقنب العير جوابا
كيف الفخار وقد كانت بمعترك يوم النسار بنو ذبيان أربابا
لم تمنعوا القوم إذا شلوا سوامكم ولا النساء وكان القوم أحزابا

فبعث بنو كلاب إلى القوم فشاطروهم سبيهم، فقالت الفارعة بنت معاوية من بني قشير تعير كلابا بمشاطرتهم الأحاليف سباياهم يومئذ: (جاد المولى بك، ٢٠١١، ص٣٨٠، ٣٨١) (ينظر: المرزباني، ١٩٩٥، ص ٦٥، ٦٦)

منا فوارس قاتلوا عن سبيهم يوم النسار وليس منا أشطرُ
ولبئس ما نصر العشيرة ذو لحى وحفيف نافجة بليل مسهرُ
زعمت بزوخ بني كلاب أنهمُ منعوا النساء وأن كعباً أدبروا

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

كذبت بُزوخُ بني كلاب إنَّها تمشي الضراء وبولها يتقطرُ
حاشا بني المجنون ان أباهم صاتٌ إذا سطع الغبار الأكدرُ
لولا بيوت بني الحريش تقسمت سبي القبائل مارت والعنبرُ

فالشاعرة ترفض تماما مشاطرة السبايا، وقد عيرت بالفرار والجبن أثناء المعارك ورسمتها في أبشع الصور. ولا تقتصر الزوجة على تحريض أهلها، وأهل زوجها للمطالبة بالثأر، بل قد تحرض جيرانه على قاتليه للأخذ بثأره معرضة بصفاتهم لأنهم خذلوه فقتل وكذلك فعلت الأمهات، وهن يرثين من قتل من أبنائهن حيث حرضت أزواجهن الأخذ بثأر من يقتل منهم كما فعلته أم قرفة وهي تلوم زوجها حذيفة بن بدر داعية عليه بأن لا يسلم من المصائب ولا يطول عيشه أن رضي بالدية، طالبة منه أن يأخذ بثأره لابنها وأن يرجع الدية، أو يأنف من أخذها، والا فليتركها تبكي ليلها ونهارها حتى تموت جزعا، تقول:(يموت، ١٩٣٤، ص ٤٣)

حذيفة لا سلمت من الأعادي ولا وقيت شر النائباتِ
أيقتل قرفة قيس فترضى بأنعام ونوق سارحاتِ
أما تخشي إذا قال الأعادي حذيفة قلبه قلب البناتِ
فخذ ثارا بأطراف العوالي وبالبيض الحداد المرهفاتِ
وإلا خلني أبكي نهاري وليلي بالدموع الجارياتِ
لعل منيتي تأتي سريعا وترميني سهام الحادثاتِ
فذاك أحب من بعل جبان تكون حياته أَردا الحياةِ

وإذا لم يبق مع الأم في الحياة غير ابنها فإنها لا تنفك تندب من قتل من أبنائها الآخرين حتى تجد أثرا في نفسه للأخذ بالثأر من ذلك ما قامت به أم دريد ابن الصمة وهي تحث ابنها، مهددة وموعدة، عارضة مما آلت إليه من حالتها النفسية، وما حصل لها من كبر وشيب في الرأس بعد فقد ابنها، فقال: (عبد الرسول،٢٠٠٩، ص٨٦)

ثكلت دريدا إن أنت لك شتوة سوى هذه حتى تدور الدوائر
وشيب رأسي قبل حين مشيبه بكاؤك عبد الله والقلب طائر
وإذا أنا حاذرت المنية بعده فلا وآلت نفس عليها أحاذر

فنرى أن " المرأة تحرض للأخذ بالثأر، وتعير بأبشع الصفات حثا لهم للقيام بالثأر، فكانت النساء في الجاهلية يمنعن أنفسهن من وضع الزينة والتجمل في وجوههن حتى ينلن مرادهن، وهو مظهر من مظاهر التعجيل بالثأر. وهذه المعاني التي تذكرها المرأة عما تمارسه حين سماعها الخبر النعي، لا تتفق به مع الرجل، فالرجل لا يحلق رأسه، ولا يشق الجيوب، وانما يمتنع عن اللهو والنساء والطيب حتى يأخذ بثأره.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

فقد كانت الحروب والغارات هي التي شغلت شطرا كبيرا من حياتهم، يستعينون بها في الاغلب لدواعي ضاغطة من طبيعية واقتصادية واجتماعية فتعود عليهم بالظفر الذي يغتبطون به بالانكسار الذي يتألمون منه، وعلى الرغم من سيادة اوضاع الحرب على حياتهم فانهم كانوا يحسون بفداحة أضرارها، ويعون جسامة جناياتها ويستشعرون الحاجة الى السلم والأمن. فقد كان خوفهم من الحرب ودواهيها سببا مهما لالتزامهم بقدسية الأشهر الحرم التي يقفون فيها عن القتال وينصرفون مع بدئها إلى التجارة وشؤونها.

والخنساء تبدو جذلى ذروة الجذل اذ يتناهى إلى سمعها نبأ الثأر الاليم فتفدي الثائر روحها ومالها وقبيلتها لأنه اتى أمرا عظيما اوقف به جريان دمع مرار: (طماسُ، ٢٠٠٤، ص٢٢١، ٢٢٣)

فدي للفارس الجشمي نفسي أفديه بما لي من حميم
أفديه بحي بني سليم بظاعنهم وبالأنس المقيم
أفديه كما أقررت عيني وكانت لا تنام ولا تنيم
خصصت بها أخا الأمرار قيسا فتى في بيت مكرمة كريم

وإن النفس التي يعصف بها الحزن والهم في أثر المقتول ندرك جيدا أن البرء من سقمها محال ما دام القاتل في منأى عن القصاص، وكلما طال الانتظار كان الوجع ألم وامض حتى النفس على دوائها الناجع الذي يوافيها به ذلك النجيع السائل من المطلوب بثأر. ولم تكن النساء ممن يهدأن، أو تلين لهن قناة، عندما يصممن على أخذ الثأر فهو غايتهن ما حيين ولهذا كن يتابعن البكاء والنوح، بتقريع وتحريض القبيلة كلها إذا لزم الامر للنهوض بالثأر، فابنة بجير القشيري تدعو كعبا كلها للنهوض والأخذ بثأر والدها المقتول في يوم المروت، تقول: (المرزباني، ١٩٩٥، ص ٦٤)

نهوضا حين تعتمد الرزايا ذوي الافعال بالعبء الثقيل
فما كعب بكعب ان أقامت ولم تثأر بفارسها القتيل
وذحلهم يناديهم مقيما لدى الكدام طلاب الذحول

ويحاط الأخذ بالثأر بالثناء الموفور كما يحاط الاسي بالثناء من المتمثل للشفاء من داء معضل يرفعه اليه إقرار له بفضل المثابرة والحذق وابتهاجا منه بزوال الوجد: (البياتي، ١٩٧٢، ص٤٣)

جزاك الله خيرا من خليل شفى من ذي تبولته الخليلا
ازحت بها جوى ودخيل نفس تمخخ اعظمي زمنا طويلا
كسوت الجعفري أبا جزيء ولم تحفل به سيفا صقيلا
ابات به زهير بني بعيض وكنت لمثلها ولها حمولا

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ومن ثم ترتاح النفس بالأخذ بالثأر ويحاط بالثناء والإجلال من طرف القبيلة لان حسب رأيهم ترتاح نفس القتيل لذلك، "وقد يرتقي الحض على أخذ الثأر في معانيه الى معاني التي تنفي السيادة والحماية عن قبيلة، وبأنها غير أهل لذلك وهو الامر الذي تقوم على أساسه القبيلة، فما أقسى وقع هذا التقريع عليه الذي يصل الى أن يكون موثب لكل القبيلة للثأر.

عرف التاريخ السياسي، بشكل رئيسي بالحروب والصراعات والأيام، وتعددت سبل الأخذ الثأر والقتال بين القبائل العربية والأسباب، " فحرب داحس والغبراء، وحرب حاطب، ويوم بعاث وغيرها من أيام العرب الطائرة الشهرة التي أورثتهم المآسي والفواجع بضراوتها، وطول آمادها وكثرة قتلاها كان لها في قلوب العرب وقع ممض، ورهبة مفزعة، فهي استحضار هذه الايام بأبعادها المذكورة دعوة الى اعتبار بها، والاحتكام الى موازين المنطق الحق، والإنصات لنداء العقل الواعي خشية أن تتكرر التجارب المرة، وتتواصل آثارها الضارة.

وجد الشعراء في الثأر ما يشفي غليلهم ويذهب ألم نفسهم ويريحهم، ولهذا أصبح الثأر من أجل أن يسترد به، والشاعر توازنه النفسي والاجتماعي فمنه يثبتون قوتهم لخصومهم، وينفون عن أنفسهم وصمة الضعف والعار من ناحية أخرى، قضية المقتول من أهم القضايا التي عرفت في الشعر الجاهلي مع اختلاف طريقة القول.

وبسبب الثأر عرفت جل الوقائع القبلية المعروفة بأيام العرب، وفي سبيل طلب دم القتلى قد يقوم حروب طويلة الأمد بين القبائل، وفي كثير من الأحيان أدى الى تكتل بعض القبائل الصغرى مع بعضها للثأر من العدو ورد الغزو له وتحدث عن هذا أحمد أمين قائلا: " ونوع آخر اتخذوه وسيلة من وسائل العيش، وهو الغارة والسلب يغيرون على قبيلة معادية وكثير ما تكون المعاداة فيأخذون جمالهم ويسبون نساءهم وأولادهم، تتربص بهم القبيلة الأخرى فتفعل ما فعلوا بل هم اذا لم يجدوا عدوا ما من غيرهم قائلو أنفسهم، إن تتبع قصيدة الثأر في العصر الجاهلي يوصلنا الى ارتباطها الوثيق بقصيدة الرثاء، فالحروب والمعارك، ولذلك ارتبط بالثأر في كثير من الأحيان، فنجد الشاعر يرثي مرثية ويدعو في نفس الوقت إلى الأخذ بثأره، لهذا " أسهم البناء الاجتماعي للقبيلة، بدور فعال، في خلق جانب من جوانب التوتر بين الفرد وبين قبيلته، التي ينتمي إليها، في حين أسهم العقل الجماعي في خلق جانب آخر من جوانب هذا التوتر. ويبقى الثأر على قمة هذه الأعراف المرذولة، وعدوه مكونا من مكونات الكرامة، ودافع البقاء لهذا ارتبط الثأر بظروف اجتماعية ونفسية للمرأة فهي تؤدي دورا كبيرا في التحريض. وكان فعل النساء بإظهار الوجوه وترك التجمل ضربا من مظاهر التعجيل في أخذ الثأر، ولهذا تقول أم الاغر في بكائها على غرسان ابن عم ليلى بنت لكيز تخاطب نساء بني أسد: (ماردیني، ٢٠٠٢، ص١٣٦)

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

دعن التجمل وارفعن الحجاب ضحى على أبي النصر لا تبكي على أحد

الخاتمة:

اتضح لنا أن الثأر ظاهرة اجتماعية تعبر عن قيم أخلاقية واجتماعية آمن بها العربي، فهو أحد الوسائل المهمة لترسيخ هذه القيم وتثبيتها. لذا انغرست هذه الظاهرة عند شاعر ما قبل الإسلام، مما دفعه إلى التفكير بمسائل الحياة والتنظير لغدٍ تحسباً للمستقبل، وهو يبحث عن الحلول المناسبة بعد دراسة الحدث الطارئ، وتحليل نتائجه خوفاً من مخلفاته وعواقبه الوخيمة، لذا ارتفعت أصوات الشعراء آنذاك منادية بالحقوق، وهي تصرخ للعدالة بقصاص عادل منصف، ولا تزال ألوان هذا الموروث تجري في عروق السلف، على الرغم من مجيء الإسلام وتحديده لهذه العادة حقناً للدماء إلاّ أن جذورها بقيت حيّة حتى عصرنا.

١. أن بواعث الثأر كانت مغروسة في ذات العربي التي تميزتْ الإباء والعزة والكرامة فضلاً عن الإحساس بفداحة الخسارة وهول المصاب الذي اعترضه فدفعه إلى القصاص العادل. وساعدت عوامل عدة اشتركتْ جميعها في شيوع حالات الثأر التي تغني بها الشعراء الموتورن، فجاءتْ قصائدهم صورة حية لحروب ثأرية طويلة الأمد، حرب داحس والغبراء، والبسوس، ولم تتغير بواعث الثأر تغيراً جذرياً وإنما كان هذا التغيير طفيفاً مع المتغيرات الحضارية الهائلة، التي صاحبتْ التحولات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وتحولَ الأغلبية منهم من مجتمع بدائي إلى مجتمع حضاري متمدن، ولكن بقيتْ عادة إدراك الثأر وبواعثها تراوح مكانها.

٢. كان للبيئة الطبيعية والاجتماعية الأثر الفاعل في تعدد أشكال الثأر التي أقرتها هاتان البيئتان.

٣. ظهر الظلم بشكل جليّ كباعث من بواعث الثأر، الذي دفعه إلى التخلص من غربة الذات، الصراع النفسي، لتحمل مسؤولية الثأر وعدم التخلي عنها، فضلاً عن الدوافع الأخرى، التحريض المنصب في سلوك المرأة وطرائقها المتبعة لشدّ الأزر، وإلهاب روح الحماس من خلال الإثارة والتنكيل في أغلب الأحيان، ولا يقبل الثأر إلا من رفيع القوم بمثله أو بما يعادله من أفراد عشيرة القاتل نفسه ليعدل في كفة الميزان.

٤. رافق التحريض البكاء في شعر الثأر، لما له من قدرة على استقطاب العواطف وكسر الخواطر، فالقيمة المعنوية للبكاء ليست بالمفهوم السطحي في ذرف الدموع وإنما جاءت الدموع تحصيل حاصل للدموع الداخلية، وهي تنزف أنهاراً من الألم، فالبكاء لم يأتِ اعتباطا وإنما هو نابع من مصادر الحزن، لذا جاء الشعر استجابة لأحاسيس نفوس تكبلتْ بالهموم والاحزان ومرارة القتل، دفعتْ بالشواعر التعبير عما يدور في خلجاتهم

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

لإعطاء صورة الحزن المكلل بالأسى واللوعة لخسارة المفقود الراحل، وهنْ يستعرضن خصالهُ الحميدة، وذكراه المجيدة لعاطفة ألمها موت عزيز لمخلفات الثأر.

٥. اعتمد شعراء الثأر أسلوب التهديد والوعيد كصفحة من صفحات الحرب الثأرية وكتمهيد لإنزال العقاب بالقاتل نفسه، فالتهديد والوعيد يسبب قلقاً نفسياً شديد الوطأة وكأنه عقابٌ نفسيٌ أشد أيلاماً من القتل، لما فيه من إظهار للقدرات وللإمكانيات التي تؤهلهم ليثأروا، وفي الوقت نفسه هو تحجيم قوة الخصم وإيقاف تماديه، فلا يمكن حصول توازن القوى إلاّ من خلال التهديد والوعيد، فالحق للقوة والغاية تبرر الوسيلة، وبالتالي يقلل من حصول الثأر.

٦. إن شعر الثأر عند المرأة نلاحظ إن قصائدها بنيت على الخطاب المباشر المقرون بالبكاء والتحريض وشحذ الهمم لإسعاف موقفها الصعب، وهي تعيش معاناة القتل في ظرف آني مفاجئ، وشيوع ظاهرة المقطوعات في مراثيها.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

المصادر والمراجع

١. بلاشير، د. ريجيس، تعريب د. إبراهيم كيلاني، ١٩٥٦م، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار الفكر، دمشق، (د . ط).

٢. البياتي، عادل جاسم، ١٩٧٢م، شعر قيس بن زهير، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

٣. جاد المولى بك، محمد أحمد، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢٠١١م، أيام العرب في الجاهلية، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، (د.ط).

٤. حرب، شرح وتقديم طلال، ٢٠٠٩م، ديوان مهلهل بن ربيعة، الدار العالمية، (د . ط).

٥. الراجحي، دراسة وتحقيق نافع منجل شاهين، ١٩٨٦م، المهلهل بن ربيعة التغلبي، حياته وشعره، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

٦. شلبي، د. سعد إسماعيل، ١٩٨٢م، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، القاهرة، ط٢.

٧. طماس، اعتنى به وشرحه حمدوُ، ٢٠٠٤م، ديوان الخنساء، دار المعرفة، بيروت، ط٢.

٨. المرزباني، أبي عبد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ)، ١٩٩٥م، تح: د. سامي مكي العاني، هلال ناجي، أشعار النساء، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط١.

٩. عبد الرسول، تح: د. عمر، ٢٠٠٩م، ديوان دريد بن الصمة، دار المعارف، القاهرة، (د . ط).

١٠. غريد، علق عليه وكتب حواشيه غريد، وضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين، ٢٠٠٣م، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت٤٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

١١. فوال، عزيزة، ١٩٨٨م، معجم الشعراء الجاهليين، دار صادر، بيروت، ط١.

١٢. الكبيسي، طراد، ١٩٨٣م، شعر الحرب عند العرب قبل الإسلام، الموسوعة رقم (١٣٥) رؤية منهجية وأخلاقية، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، (د . ط).

١٣. كمال، د. علي، ١٩٨٣م، النفس، انفعالاتها، وأمراضها وعلاجها، دار واسط للطباعة والنشر، جديدة وموسعة، ط٢.

١٤. ماردیني، رغداء، ٢٠٠٢م، شواعر الجاهلية: دراسة نقدية، دار الفكر، دمشق، (د . ط).

١٥. محي، ترجمة د. إبراهيم عبد الله، ١٩٦٧م، علم النفس في الحياة العملية، د. برنهات، مطبعة العاني، (د . ط)، بغداد.

١٦. المسلوت، عبد الحميد محمود، ١٩٦٣م، محاضرات في تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، ط١.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

١٧. يموت، بشير، ١٩٣٤م، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، المطبعة الوطنية، بيروت، ط١.

١٨. الروقي، بجاد بن زياد بن معضد، ١٩٩٤م، إشراف الأستاذ الدكتور محمود حسن زيني، شعر قبيلة بني كلاب (من العصر الجاهلي إلى آخر عصر بني أمية) دراسة موضوعية فنية، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، الدراسات العليا، قسم الأدب والنقد، المملكة العربية السعودية.

References

1. Blachere, Dr. Regis, translated by Dr. Ibrahim Kilani, 1956, History of Arabic Literature in the Pre-Islamic Era, Dar Al-Fikr, Damascus, (n.d.).
2. Al-Bayati, Adel Jassim, 1972, Poetry of Qais bin Zuhair, Al-Adab Press, Najaf Al-Ashraf.
3. Jad Al-Mawla Bek, Muhammad Ahmad, Ali Muhammad Al-Bajawi, Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 2011, Days of the Arabs in the Pre-Islamic Era, Al-Asriya Library, Sidon-Beirut, (n.d.).
4. Harb, explanation and introduction by Talal, 2009, Diwan of Muhalhil bin Rabi'a, Al-Dar Al-Alamiyah, (n.d.).
5. Al-Rajhi, study and investigation by Nafi' Manjal Shahin, 1986, Muhalhil bin Rabi'a Al-Taghlabi, his life and poetry, Master's thesis, Faculty of Arts, Al-Mustansiriya University.
6. Shalabi, Dr. Saad Ismail, 1982, Artistic Origins of Pre-Islamic Poetry, Gharib Library, Cairo, 2nd ed.
7. Tammas, edited and explained by Hamdou, 2004, Diwan Al-Khansa, Dar Al-Ma'rifa, Beirut, 2nd ed.
8. Al-Marzubani, Abu Abdullah Muhammad bin Imran (d. 384 AH), 1995, edited by: Dr. Sami Makki Al-Ani, Hilal Naji, Women's Poetry, Alam Al-Kutub, Beirut-Lebanon, 1st ed.
9. Abdul Rasool, edited by: Dr. Omar, 2009, Diwan Duraid bin Al-Samma, Dar Al-Ma'arif, Cairo, (n.d. - n.d.).
10. Gharid, commented on and wrote its marginal notes by Gharid, its general indexes were prepared by Ibrahim Shams Al-Din, 2003, Explanation of Diwan Al-Hamasa by Abu Tammam, Abu Ali Ahmad bin Muhammad bin Al-Hasan Al-Marzouqi (d. 421 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed.
11. Fawwal, Aziza, 1988, Dictionary of Pre-Islamic Poets, Dar Sadir, Beirut, 1st ed.
12. Al-Kubaisi, Tarrad, 1983, War Poetry among the Arabs before Islam, Encyclopedia No. (135) A Methodological and Ethical Perspective,

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

Publications of the Department of Cultural Affairs and Publishing, Baghdad, (n.d. - n.d.).

13. Kamal, Dr. Ali, 1983, The Soul, Its Emotions, Diseases and Treatment, Wasit Printing and Publishing House, New and Expanded, 2nd ed.
14. Mardini, Raghdaa, 2002, Pre-Islamic Poets: A Critical Study, Dar Al-Fikr, Damascus, (n.d. - n.d.).
15. Muhi, translated by Dr. Ibrahim Abdullah, 1967, Psychology in Practical Life, Dr. Bernhat, Al-Ani Press, (n.d. - n.d.), Baghdad.
16. Al-Masloot, Abdul Hamid Mahmoud, 1963, Lectures in the History of Arabic Literature, the Pre-Islamic Era, Al-Azhar Al-Muhammadiyah Printing House, Cairo, 1st ed.
17. Yamut, Bashir, 1934, Arab Poets in the Pre-Islamic and Islamic Eras, National Press, Beirut, 1st ed.
18. Al-Ruqi, Bajad bin Ziyad bin Mu'add, 1994, Supervised by Professor Dr. Mahmoud Hassan Zini, Poetry of the Banu Kalb Tribe (From the Pre-Islamic Era to the End of the Umayyad Era) An Objective and Artistic Study, PhD Thesis, Umm Al-Qura University, College of Arabic Language, Graduate Studies, Department of Literature and Criticism, Kingdom of Saudi Arabia.